المبحث الأول

أشهر الطرق الصوفية

وهكذا مضى القرن الثاني الهجري والتصوف لا يزيد على أن يكون سلوكاً فردياً يعبّر عن الزهادة في الدنيا، والتقلل منها والجد في طلب الآخرة وإصلاح الظاهر بأنواع العبادات الظاهرة، وتزكية الباطن بأنواع الأخلاق الباطنة[1].

وما أن دخل القرن الثالث الهجري حتى نحى التصوف طريق التجمع حول بعض الأشخاص آخذاً شكلاً جديداً غير شكله المعتاد، بدعوى أنَّ هؤلاء الأشخاص مكاشفون.

يقول السيد محمود أبو الغيض المنوفي الحسيني: «وهذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء ﷺ، وقد يرثها حفيد وسيط لولي من أولئك الأولياء فيكرمه الله ﷻ بكرامة آبائه، وأجداده الصالحين فإنَّ من سار على دربهم أكرمه الله مثل إكرامهم ومن فرط أو قصَّر أكرمه الله لأجلهم»[2].

وقول أبي الغيض: «أو قصر أكرمه الله لأجلهم»في كلامه نظر ظاهر؛ لأنَّ الله رهن الناس بأعمالهم كما قال سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] وقال: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥] وقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩- ٤١]

---

(١) ينظر: الصوفية بين الحق والخلق: ٢٢٥.

(٢) ينظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً: ٤٣.

فمن قصّر استحق العقاب لا الإكرام ومن أحسن فله الثواب قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وأطلق على هذا التجمع حول هذا الشخص، وما يدعيه من أوراد وأذكار اختصّ بها اسم طريقة، وكانت أول الطرق نشأة.

المطلب الأول: الطريقة السقطية

نسبة إلى السري السقطي، وذلك في القرن الثالث الهجري ثم ما زالت الطرق تتسع وتكثر حتى بلغت أوجها في القرنين السادس والسابع ومن ذلك الحين انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً لم يسبق له نظير حتى أنَّ الطريقة الواحدة لتنشق منها عدة طرق.

وقد قامت هذه الطريقة على ثلاثة عناصر رئيسة[1]:

- **الأول**: سلب المنتسب إلى الطريقة لإرادته وتسليمها إلى الشيخ الذي ينتسب إليه فلا يتصور أن يخالفه البتة، وهو المعبّر عنه بقولهم: «أن يكون المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغسال»[2].
- **الثاني**: انقطاع المريد عن الدنيا انقطاعاً تاماً فلا يشارك في الحياة العامة ولا يتجاوب شعورياً مع مشاكل المسلمين وآمالهم.
- **الثالث**: يعيش المريد في جو من الحياة الرمزية المليئة بالألغاز، والتي يدّعي أنّه لا يعلم فك معانيها إلا الشيخ المتبوع فهو أعمى أصم لا عقل له يتقبل كل شيء بلا مناقشة ولا اعتراض.

---

(١) ينظر: الصوفية بين الحق والخلق: ١٤٣، ٢٣٢.

(٢) ينظر: منارات السائرين: ٢٣١.

المطلب الثاني: القادرية

نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني الملقب بسلطان الأولياء رحمه الله ولد مؤسسها في بغداد سنة ٥٦١ وهو أعجمي ونسبته الجيلاني ترجع إلى جيلان[١]، وهذا الرجل رُزق بتسع وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم - من أبنائه - تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي.

ويزعم أتباعه أنّه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري، على الرغم من عدم لقائه بالحسن البصري، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الواحد الأحد سبحانه وتعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى وتصرفه في الكون حياً أو ميتاً - عياذًا بالله تعالى - زيادةً على مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة افتراءً عليه رحمه الله ومن هذه الأقوال: أنَّه قال: في أحد مجالسه قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله تعالى.

ومما ينسب إليه كما ينقل أتباعه هذه اللفظة – عياذًا بالله تعالى -: من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له[٢].

المطلب الثالث: النقشبندية

أسسها بهاء الدين محمد بن محمد البخاري، وهي ثورة قامت لتجديد التصوف ومحاولة لإظهارها في ثوب جديد، لذا كان من نتائج هذا التجديد إلغاء كثير من الطقوس الصوفية فألغت الذكر والخلوة والكرامات، وأهم ما ألغته ما يدعيه الصوفية من أنَّ سلسلة التصوف تنتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لكنها بعد وفاته رجعت إلى ما عليه الصوفية من الطقوس والأعمال، وقد

---

(١) ينظر: الصوفية بين الحق والخلق: ٢٣٢.

(٢) ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٥٧.

توفي مؤسسها في سنة (٧٩١) وأرجعوا سلسلتهم إلى الجنيد بن محمد مـــارةً بأبي يزيد البسطامي حتى اتصل بأبي بكر الصديق[١].

المطلب الرابع: التيجانية

مؤسسها أحمد التيجاني يدعي أنّه أخذ طريقته عن النبي ﷺ مباشـــرة في المنام مات في المغرب سنة (١٢٣٠هـــ) وقد شجّع الاستعمار الفرنسي انتشار هذه الطريقة في البلاد التي احتلها، فيؤمنون بوحدة الوجود، ويقولون بـــأنَّ مشايخهم يكشف عن أبصارهم فيرون الغيب عياذاً بـــالله تعـــالى، ويـــدّعي المؤسس للطريقة واسمه أحمد التيجاني بأنَّه قد التقى بالنبي ﷺ في اليقظة، وأنّه تكلم معه مشافهة، وأنَّه قد تعلم من النبي ﷺ صلاة تسمى بصلاة الفاتح لمـــا أغلق ولفظها: اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، طبعاً الطريقة التيجانية لهم في هذه الصلاة اعتقادات غريبة تدل على زعمهم منها: أنَّ الرسول ﷺ أخبر التيجاني طبعاً حينما التقى به – حـــسب معتقدهم - أي أن الرسول ﷺ أخبر التيجاني شيخ هذه الطريقة بـــأنَّ المـــرة الواحدة من هذا الدعاء تعدل قراءة القرآن ستّ مرات [٢].

وفي لقائه الثاني المزعوم بالنبي ﷺ أخبره بأنَّ المرة الواحدة مـــن صـــلاة الفاتح تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة كما ذكر ذلك في كتاب (جـــواهر المعاني) لعلي الحرازي، إضافة إلى أنّه من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كـــان أكثر ثواباً من الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة، يعني مليون سنة، طبعاً

---

(١) ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٦٠.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٦٦.

أحبابي في الله يلاحظ عليهم أو يلاحظ على هذه الطريقة شّدة تهويلهم والتقاعس عن أداء العبادات والتهاون فيها، وذلك بسبب ما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد من مريدي هذه الطريقة، طبعاً يقول مؤسس هذه الطريقة أحمد التيجاني لأتباعه أنَّ من رآه دخل الجنة بل، ويزعم أنَّ من حصل له النظر إليه في يومي الجمعة والإثنين دخل الجنة، وكان دائماً يخبر أتباعه بأنَّ النبي ﷺ قد ضمن للطريقة التيجانية وأتباعها دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، والذي يبين كذب هذا الكلام، وهذه الطريقة أنَّ الرسول ﷺ لم يقل لخير الأجيال ولأفضل جيل عرفته البشرية وهم أصحاب الخليل ﷺ، لم يقل لهم بأنَّهم قد غفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر، أو أنَّكم سوف تدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذا يدلل على كذب مدعي هذه الطريقة وما يعتقدونه؛ لأنَّه يخالف ما جاء في كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ، وكذلك مخالفته للعقل والنقل.

المطلب الخامس: البريلوية

تنسب إلى أحمد رضا البريلوي من مدينة بريلي في الهند في ولاية أتريراديش لقب نفسه (عبد المصطفى) ولقبه أتباعه حضرة الأعلى تقوم طريقته على الحلول والغلو مات سنة ١٣٤٠[1].

ويعتقد أصحابها بأنَّ الرسول ﷺ لديه قدرة يتحكم بها في الكون عياذاً بالله تعالى. كما أنَّ لديهم عقيدة تسمى بعقيدة الشهود: وهي أنَّ النبي ﷺ في اعتقادهم حاضر وناظر لأفعال الخلق الآن، وفي كل زمان ومكان عياذاً بالله تعالى.

وينكر أصحاب الطريقة البريلوية بشرية النبي ﷺ بل يجعلونه نوراً من

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧.

نور الله تعالى عياذًا بالله من هذا الضلال، وهذا الشرك المبين؛ لأنَّه يخالف النص القرآني والإجماع.

كذلك يحث أصحاب الطريقة البريلوية أتباعهم ومريديهم على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين، ومن ينكر عليهم هذا يرمونه مباشرة بالإلحاد وبالكفر، ولِذَا هذه الطريقة غلو شديد في شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، وتكفير من يقف ضدهم وضد آرائهم ومعتقداتهم مثل شيخ الإسلام ومنهجه وتلاميذه، هناك علامة لهذا الطريقة وأتباعهم، يستطيع الإنسان معرفتهم بها، ويميزهم، ومن هذه العلامات التي تعرف بها الطريقة البيرلوية:

١. إصرارهم على تقبيل الإبهامين عند الأذان، ومسح العينين بهما، واعتبار ذلك من الأمور الأساسية، ولا يتركها - في اعتقادهم - إلا من كان عدوًا لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

ويبدو أن نَسْبَ الطرق لبعض متقدمي الصوفية وشيوخهم كالجنيد ابن محمد إنَّما هي نسبة متأخرة، وأما هم فلم يكن لهم طرق تنسب إليهم ولا ادعوها كما تقدمت الإشارة إليه.

والناظر في كتاب الله وسنة رسوله يجد النصوص تأمر المسلمين بالتجمع تحت لواء شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إذ يقول سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال ﷺ: «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار»[(١)]، وفسّر ﷺ الجماعة بأنّه ما كان عليه هو وأصحابه وقال في حديث افتراق الأمة «كلها في النار إلا واحدة»[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي الفتن: ٢١٦٥.

(٢) سنن ابن ماجه الفتن: ٣٩٩٣، مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٢٠.

مما يدل على أنَّ الصوفية الباطنية المنحرفة، وليست الصوفية الصادقة بعددها وتفرقها وفسادها وعقائدها لا تدخل في مسمى هذه الفرقة الناجية الواحدة لا سيما وأنَّ فيهم من مخالفة الشريعة والاقتداء بغير رسول الله ﷺ ما هو واضح جلي والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] فالإمام المتبع المقتدى به هو الرسول ﷺ دون من سواه، وهو لم يجعل لنا بينه وبين الله واسطة في التبليغ غيره فقال ﷺ: «أنا أفضل بني آدم ولا نبي بعدي»[١] وهو ﷺ قد بين لنا كل ما نحتاجه من أمر ديننا ودنيانا قال ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[٢] وقال ﷺ: في معرض الأمر بالاقتداء به «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٣] وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[٤] وقال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»[٥] وبذا يظهر لنا وجوب الاجتماع على ما جاء به الرسول ﷺ، وأنّه هو الإمام المقتدى به دون سواه، وأنّه لا طريق للعمل بالشريعة سوى ما جاء به مما يدل على أنَّ الاجتماع على أي اسم غير الإسلام والإيمان والإحسان فهو بدعة في الدين لقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

---

(١) سنن الترمذي المناقب: ٣٦١٥، سنن ابن ماجه الزهد: ٤٣٠٨.

(٢) سنن ابن ماجه المقدمة: ٤٤.

(٣) سنن أبو داود السنة: ٤٦٠٧، سنن الدارمي المقدمة: ٩٥.

(٤) صحيح البخاري النكاح: ٥٠٦٣، صحيح مسلم النكاح: ١٤٠١.

(٥) موطأ مالك الجامع: ١٦٦١.

النار»[1] وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2] وأنّه لا يجوز الاقتداء بأي شخص كائن من كان بحيث تُؤْخَذ أقواله وأفعاله مسلمات شرعية إلا إذا ثبت أنّها موافقة لما جاء به الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر»[3] يريد الرسول ﷺ. وقال الإمام الشافعي: «إذا وافق قولي قول الرسول ﷺ وإلا فاضربوا بقولي عرض الحائط»[4] وبناء على ذلك فليس لأحد من الخلق طاعة مطلقة على عباد الله إلا أن يوافق قوله قول رسول الله ﷺ، ويبدو أن الصوفية تأثروا كثيراً ببعض الفرق الإسلامية أو حتى غير الإسلامية من الفلسفات والثقافات الأخرى مثل الفرق الأخرى في قضية الإمامة فجعلوا شيوخهم كالأئمة عند الفرق الأخرى في تلقي أقوالهم بالقبول وعدم المناقشة أو الاعتراض على شيء منها لا سيما إذا قرن ذلك بإصرارهم على إرجاع نسب شيوخ طرقهم إلى فاطمة الزهراء عليها السلام وسلسلة تصوفهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام مما يدل دلالة قاطعة على ما قدمناه من تأثرهم بعقيدة الإمامة، هذا ونحن عندما نقول هذا فإنا ننـــزه شيوخ السلف من المنسوبين إلى التصوف أن يكونوا كذلك لما تواتر عنهم، وعلم بطريق النقل الصحيح من معتقد أتباعهم للكتاب والسُّنة ولا أثر للبدعة فيه مع عدم تنـــزيهنا لأحد من البشر من الخطأ؛ إذ كل بني آدم خطاء، أو بعض الفلسفات الدخيلة على الثقافة الإسلامية في عصر الترجمة.

(١) صحيح مسلم الجمعة: ٨٦٧، سنن النسائي صلاة العيدين: ١٥٧٨.
(٢) سنن ابن ماجه المقدمة: ٤٥، مسند أحمد بن حنبل: ٣/٣١١.
(٣) حلية الأولياء: ٣/٣٠٠.
(٤) تيسير العزيز الحميد: ٥٤٦.